ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

الرسم ودوره الفعال في تخفيف درجة القلق والاكتئاب

Drawing and its effective role to relieve the anxiety and depression

بوداري عزالدين [1]، اسماعيلي يامنة[2]

[1] جامعة محمد بوضياف - المسيلة، (الجزائر)، *boudari343434@gmail.com*

[2] جامعة محمد بوضياف - المسيلة، (الجزائر)، *smailiyalna@yahoo.fr*

تاريخ الإستلام: 2019.11.05 **تاريخ القبول**: 2020.01.07 **تاريخ النشر**: 2020.03.31

ملخص

يحتاج الإنسان دائماً إلى وسيلة يعبر بها عما يعتمل في نفسه من صراعات وآلام نفسية، وهو يلجأ في ذلك إلى طرق متعددة منها السلوك والحديث والحركة وما إلى ذلك، ونلاحظ أن هذه الوسائل التي يعبر بها الفرد عن نفسه قد يتخللها عمليات ضبط وحذف لكل ما يراه غير ملائم للتعبير، إلا أن هناك وسيلة هامة يستطيع بها الفرد أن يعبر وينفس عن كل صراعاته ومشاكله، دون أن يشعر أن عوامل المقاومة والضبط يشلان ويقللان من حركة التعبير ألا وهي الرسم، حيث أنه يجعل الفرد يعبر عن كل ما يحلو له، مغلفاً بالرموز والألوان والخطوط والمساحات ... الخ، لذا أصبح التعبير بالفن أساساً من أسس التشخيص والعلاج للمرض النفسي، نظراً لما تتضمنه عملية التعبير من نواحي تشخيصية وعلاجية، وهما عمليتان تتمان متضامنتان في آن واحد ففي أثناء التعبير يتم التنفيس ومن خلال النتائج يتم التشخيص. حيث حظيت رسوم الأطفال بأهمية بالغة منذ فترة مبكرة بوصفها مادة سيكولوجية تتسم بالثراء، يمكن الخروج منها بالعديد من الدلالات، لا في مجال الذكاء والنضج العقلي وحده، ولكن في مجال الشخصية واضطراباتها أيضاً.

الكلمات المفتاحية: *الرسم، التشخيص، العلاج ، وسيلة، فعالة،القلق والاكتئاب.*

Abstract

The human person always needs a means of expressing himself in conflicts and psychological pain, and resorting to various ways, including behaviour, talk, movement, etc., and we note that these means by which the individual expresses himself may be punctuated by seizures and deletions for whatever he sees is inappropriate for expression, but there is an important means by which an individual can express and defend all his or her conflicts and problems, without feeling that the factors of resistance and seizure are crippling and reduce the movement of the expression, which is to make the individual express everything he likes, encapsulated with symbols, colors, lines and spaces... Thus, the expression of art is essentially a basis for diagnosis and treatment of psychiatric illness, given the diagnostic and therapeutic aspects involved in the expression process; two processes that are jointly carried out at the same time during the expression are vented and through the results are diagnosed. Children's drawings have been very important for an early period as a rich psychological material, from which many connotations can be found, not only in the field of intelligence and mental maturity, but also in the field of personality and its disorders.

***Keywords**: drawing, diagnosis, treatment, means, anxiety and depression.*

[1] **المؤلف المرسل**: بوداري عزالدين، **الإيميل**: *boudari343434@gmail.com*

مقدمة

يعتبر الرسم لغة عالمية يشترك فيها كل أطفال العالم، فهم يتحدثون بلغة واحدة ولكنها تختلف من حيث سماتها البيئية، فالرسم يتيح لجميع الأطفال الفرصة للبحث، والملاحظة، والتجريب، والاستكشاف، والابتكار، والخيال، إضافة للجانب الترويحي للأطفال، فالرسم لغة الطفل للتواصل والتفكير، تتغير وتتشكل مع نموه، وارتقائه، وتزداد رموزه ارتباطاً بالبيئة التي يعيش فيها، كما يمكن اعتباره وسيلة للكشف عن شخصية الطفل، وكيفية ارتقاء المظاهر المختلفة لنمو عقله، وأفكاره، ووجدانه، ومشاعره، وقيمه، وأخلاقه، وخياله، وإبداعاته.

1. مفهوم رسوم الأطفال

فمن المسلم به في نظريات التحليل النفسي أن سير العمليات النفسية ينتظم آلياً وفق "مبدأ اللذة" ويذهب فرويد إلى أن ما تبدأ منه أي عملية نفسية مهما اختلفت الظروف، إنما هي حالة من التوتر الكريه المؤلم، ومن ثم تتخذ لنفسها سبيلاً يؤدي آخر الأمر إلى نقص هذا التوتر والتخفف منه، أي تجنب "عدم اللذة " والحصول على اللذة. (فرويد، 1980 ص23)

وإذا ما أخذنا الرسم كمثال للعملية النفسية نجد أنه يعمل وفقاً لمبدأ اللذة وهو لا يحقق لذة لدى الفنانين والمشتغلين بالرسم فقط، ولكن يحقق لذة مع من لا يجيدون الرسم، فهو تنفيس عن رغبات ودوافع وانفعالات تحاول أن تتحقق ولكن الواقع يقف أمامها بالمرصاد، فتتخذ سبيلا آخر يرضى الواقع من خلال التحقق في الرسم، وربما نجد مثالاً لذلك فيما يشير إليه من أن شدة الحاجة إلى الدفء والحب لدى الأطفال الكبار تنعكس في, دلالات مثل الضوء والنار التي تعد في الغالب محاولات للتحكم في هذه الانفعالات. (**Burns & Kaufman, 1970: 98**) نقلا عن أسامة فرينة 2011

غير انه من الملاحظ في رسوم كثير من الأفراد أن هناك اهتماماً مبالغاً فيه للتعبير في رسومهم عن شيء معين، ويتواتر رسم هذا الشيء في أغلب رسومهم، مثال ذلك رسم طائر معين أو وجه إنساني في وضع بعينه أو رسم غصن شجرة أو ربما شجرة ذات تكوين خاص أو نوع خاص من الزهور أو رسم تفصيل إنساني مثل العين أو اليد فقط ... الخ. حيث نجد شخصاً ما يضمن رسومه أحد التغييرات السابقة أو أكثر أو غيرها، وهذا الشخص ربما يرسم هذا التفصيل بمفرده أو يضمنه مع تفاصيل أخرى تحوى علاقات معينة وعلى هذا فإن الأمر هنا يتخطى مبدأ اللذة، ومن ثم علينا أن نلتمس تفسير ذلك في مبدأ آخر يقول به فرويد وهو مبدأ إجبار التكرار" الذي هو –وفق فرويد– أكثر تغلغلاً وقدماً في النفس الإنسانية، حيث يفرض عليها أن تكرر الخبرات والمواقف القديمة دون نظر إلى ما تؤدي إليه من نفع.(فرويد، 1980ص13).

وهذا التكرار ينتهي بصاحبه إلى الفشل ويخلف جراحاً في عزة النفس، ومن ثمة لا يمكن أن يفهم بوصفه تكراراً لحاجات غريزية تسعى إلى الإشباع، بل هو ينشأ حاجة قائمة بذاتها إلى التكرار تتعدى مبدأ اللذة. (لاجاش، 1979ص38)

وبناء على ما سبق نستطيع القول بأن الرسم إنما هو نتاج عملية أولية تسود اللاشعور، وهذه العملية تسعى نحو التحقق على مسرح الشعور ولا تنتظر التأجيل، فهي تعمل وفقاً لمبدأ اللذة، الذي يسعى نحو تحقيق الرغبة هنا والآن دونما اعتبار للواقع، وعلى هذا فالرسم ليس فقط هو نتاج عملية أولية إنما هو صورة عقلية ذاتية متذكرة تتطابق مع أشكال واقعية (مدركات حسية قائمة بالفعل) وعلينا أن نصل إلى المدركات الحسية للرسوم من خلال تحليلنا للصورة العقلية الذاتية المتذكرة لهذه الرسوم والموقف على هذا النحو يتشابه مع موقف الحلم من حيث كون المحتوى الظاهر للحلم ما هو إلا تعبير عن أفكاره الكامنة، وبالتالي يكون لزاماً علينا لكي نفهم رسماً معيناً ألا نكتفي بمحتواه الظاهر، بل نستدعى الأفكار الكامنة والمشكلة لهذا الرسم غير أن هناك ثمة اختلاف أساسي هو أن أفكار الحلم الكامنة هي في الغالب مكبوتة ويجهلها الحالم، وهذا يعكس أفكار الرسم التي هي في الغالب حاضرة معه، في شعوره، أو ما قبل شعوره. غير أن الرسام لا يريد أن يفصح عنها بشكل واضح، وربما يرجع هذا الاختلاف لفرق أساسي بين الموقفين هو أن الحلم يتم تشويهه حتى لا ينشب صراع بين ذات الحالم والأنا الأعلى، فيحدث الأرق وانعدام النوم، بينما يتم استخدام الرموز في الرسم حتى لا ينشب صراع بين الرسام والآخرين، فيكون عاقبة ذلك رفض المجتمع لهذا الشخص "الرسام" ويشير خضر،1989 إلى أن تحقيق الرغبة من خلال الرسم قد يبدو واضحاً في بعض الرسوم مثل الطفل الذي يرسم نفسه راكباً دراجة أو موجوداً في الملاهي أو في حديقة الحيوان أو انه يأكل طعاماً معيناً، هنا تبدو الرغبة واضحة إلى حد يمكن معه القول أن محتوى الرسم لا يختلف كثيراً عن أفكار الرسم. ومن جهة أخرى قد تتحقق الرغبة في الرسم بشكل مقنع، ومثال ذلك ما قام به تلميذ بالصف الثالث الإعدادي، عندما طلبت مدرسة التربية الفنية من تلاميذ الصف أن يعبروا من خلال الرسم عن ابتداء العام الدراسي الجديد، فما كان من هذا التلميذ إلا أن قام برسم مدرسة جميلة وسور للمدرسة وكتب على الصفحة "بدأ العام الدراسي الجديد" ولكن الرسم على هذا النحو الذي تم لم يتضمن تلاميذ المدرسة، حيث اكتفي التلميذ برسم جدران المدرسة وسورها فقط، ولم يرسم التلاميذ داخل الفصول أو في حوش المدرسة أو حتى ينتظرون عند الباب خارج المدرسة، كما أنه أغلق باب المدرسة وأبواب الفصول جميعها، وكأنه بذلك يحقق رغبته في عدم ابتداء العام الدراسي الجديد، إذ أن العام الدراسي الجديد يعني في المقام الأول انتظام التلاميذ داخل المدرسة، وربما كان هذا التلميذ يرغب في أن تمتد فترة الإجازة الدراسية أكثر من ذلك، أو ربما ود لو لم تبدأ الدراسة كليةً خشية الرسوب في الشهادة الإعدادية، فعبر ذلك عن ابتداء العام الدراسي وعدم ابتدائه معاً، حيث ظهر ابتداء العام الدراسي من تجهيز بناء المدرسة، أما عدم ابتداء العام الدراسي فقد اتضح من عدم انتظام التلاميذ داخل هذا البناء، وهذا يعني أن الرسم الذي تم إنما هو ذلك الحل الوسط الذي توصل إليه لاشعور التلميذ لتحقيق رغبتين متناقضتين هما الرغبة في ابتداء العام الدراسي والرغبة في عدم ابتدائه(خضر1989ص26-27)

ونجد أيضاً مثالاً لتحقيق الرغبة في شكل مقنع، فيما أشارت إليه عثمان، 1980 في أنه عندما طلب من بعض الأطفال في سن العاشرة التعبير بالرسم عن "معركة دنشواي" ظهر رسم لأحد الأطفال عبارة عن مجموعة من المشانق تتدلى منها بعض النسوة ولم يشنق الطفل أي رجل، ولما استفسر من الطفل عن سبب ذلك أجاب بعد وقت طويل:

"لأن المربية سيدة ويجب أن تشنق مثل هؤلاء السيدات" وبعد مزيد من المناقشة اتضح أن الطفل يعاني من قسوة مربيته، ولخوفه من عقابها له لم يخبر أحداً بما يقاسيه وإنما استطاع أن يعبر عن آلامه ومخاوفه هذه داخل رسومه بطريقة رمزية)عثمان 1980 ص32-24)

ونلاحظ من هذا المثال أن الرسم إنما هو تحقيق لرغبة، هذه الرغبة تجلت في التخلص من المربية بشنقها من خلال الرسم، انتقاماً منها على قسوتها مع الطفل وتنفيساً من جانب الطفل على ما هو محظور عليه من أن يخبر أحداً بسوء معاملتها له، فهو بذلك يخبر الجميع بأنه لا يحبها ويتمنى لو تخلص منها.

تعد رسوم الأطفال أحد الأنشطة الهامة في سلوكهم التلقائي وإن كانوا لا يستطيعون الرسم حقيقة بسبب نقص اتزانهم العضلي، إلا إنه يتميز "بالشخبطة" التي يقوم بها الطفل بالقلم أو بأصابع الطباشير أو بأي أداة أخرى.

وتعرف الهنيدي، 2007 رسوم الأطفال بأنها: "هي تلك التخطيطات الحرة التي يستخدمها الأطفال كلغة يعبرون فيها على أي سطح كان منذ بداية عهدهم بمسك القلم أو ما شابه ذلك، إلى أن يصلوا إلى مرحلة البلوغ (الهنيدي، 12 2007:

ففي كتاب تحت عنوان "دراسات حول الطفولة" أكد "جمس سولي بأن الطفل يميل في رسومه إلى رموز أكثر منه للواقعية، فإنه يرى فن الطفل في جوهره، انتقائي وإيحائي أكثر منه إعادة إنتاج حرفية للواقع، وقد جاء من بعدهم العالم النمساوي "تشيزك" الذي قام بتشجيع الأطفال على رسم استجابتهم الشخصية للواقع وما يحدث في حياتهم، بعيداً عن الرسم الفوتوغرافي من الطبيعة، فكان الأطفال يرسمون ما يجذب انتباههم ويثير اهتماماتهم. (السيد، 2003ص29-30)

2. أهمية رسوم الأطفال:

قدم عالم النفس "جيمس سولي" أول تفسير نظري لمراحل تطور رسوم الأطفال، فقد تناول في كتابه دراسات في الطفولة (1895) "الطفل كفنان"، وربط تعبيره الفني بنشاط الإنسان البدائي، كما تناول تطور رسوم الأطفال وتخطيطاتهم للأشكال والهيئات الإنسانية والحيوانية، فيما بين سنتين وست سنوات، وتوصل من تحليله للرسوم إلى ثلاث مراحل هي:

- التخطيطات العشوائية غير الهادفة
- التصميمات البدائية الاصطلاحية
- المعالجة المتبصرة للشكل الإنساني (القريطي.2001ص16)

كل ذلك يجعلنا نجيب عن تساؤل لأهمية دراسة رسوم الأطفال:

- يعد التعبير الفني مصدراً للمتعة والإثارة العقلية ويقدم فرصاً كثيرة لتحقيق الذات وتجديدها باستمرار وتكاملها.
- إن رسوم الأطفال الوسيلة التي تساعد الطفل على التواصل والتخاطب مع الآخرين.

- التعبير الفني يساعد الطفل على الاستغراق في الخيال للوصول إلى رؤى جديدة تحمل قيماً واستبصارات لها دلالات ومعاني متنوعة ومختلفة وجديدة، ويتحقق من خلالها إدراك الطفل لذاته المبدعة (السيد، 2003ص13)
- الكشف عن الأسوياء وغير الأسوياء.
- الارتقاء بمعدلات الذكاء والاستعداد الخاص للعمل.
- الكشف عن الأمراض النفسية للطفل من خلال تعبيراته ورسومه.
- إدراك سمات التعبيرات الخاصة بالذكور والإناث والأطفال البالغين في رسوماتهم.
- مساعدة الأخصائيين النفسيين في جهودهم لفهم خصائص مرحلة الطفولة.
- تحديد مكانة تعبيرات الأطفال العربية من الاتجاهات العالمية.
- فتح مجال أوسع لمفهوم فهم الأطفال من خلال تعبيراتهم الفنية للباحثين والأخصائيين والأطباء والعلماء والمعلمين (غراب، 2003ص25)
- تفيد في تفهم طبيعة الطفل من نواحي النمو العقلية والنفسية والجسمية. (البسيوني، 18: 1984).

3. نظريات تفسير رسوم الأطفال :

وفيما يلي عرض لبعض النظريات التي تفسر رسوم الأطفال:

نظرية الواقعية الساذجة: تعد هذه النظرية من أقدم النظريات التي تناولت تعليم رسوم الأطفال لفترة طويلة، ومازالت آثارها باقية حتى اليوم، ويقصد بواقعية الرسم إنتاج رسوم "فوتوغرافية" ممثلة للواقع من الناحية البصرية دون تحريف وذلك بإتباع قواعد وأصول محددة، وقد أطلق البعض على تلك النظرية –الواقعية الساذجة-باعتبار أن الرسوم الواقعية مهما بلغت دقة تمثيلها للواقع تبقى مجرد رموز بصرية، وليست هي الواقع ذاته. تتبنى هذه النظرية عدة مبادئ كل منها يعتمد على الآخر:

- لا فرق بين جسم الشيء المرئي وصورته التي يدركها العقل.
- لا فرق بين مدركات الأطفال عن الأشياء المرئية نفسها.
- لا فرق بين مدركات الأطفال ومدركات الكبار عن الشيء المرئي الواحد.
- الفروق الأساسية بين رسم الطفل ورسم البالغ هي نتيجة الاختلافات والفروق في القدرات العضلية.
- اقتصار الرسم على الواقع المرئي بدون إضافات انفعالية أو ابتكارية.

ولاتوجد عوامل مؤثرة على الاستجابات البصرية لمثيرات البيئة، ولا على القدرة التي يتناول بها الأطفال التفاصيل والتصميم، كالفروق الفردية والخبرات الماضية والثقافية والإدراك وتوافق العين مع اليد والعواطف. (حسن، 1999،230).

النظرية العقلية: أكد بعض الباحثين أن رسوم الأطفال تحكمها تداعياتهم المعرفية ومدركاتهم العقلية عن الأشياء التي يرسمونها أكثر مما تحكمها صور هذه الأشياء ذاتها، ولقد أشارٍ **Viola** الى أن الخطأ الكبير في تدريس الفن بطريقة

كلاسيكية للأطفال نتج أساساً عن عدم المعرفة بأنهم يرسمون ما يعرفونه لا ما يرونه بطريقة لاشعورية. كما المح **Bel** إلى أن فن الأطفال مفاهيمي لأنهم يوضحون في أعمالهم ما يعرفونه لا ما يرونه ويؤكدون فيها على ما يعنيهم. (القريطي،35 : 2001)

وتتبنى هذه النظرية مبدأ "أن الطفل يرسم ما يعرفه لا ما يراه" حيث أن ما يعرفه عن شيء هو مفهومه عنه، وهو في رسمه يسجل ما يعرفه عن الأشياء لا ما يراه، حتى في حالة وجودها أمامه. (حسن 228: 1999)

كما ذهب أصحاب النظرية العقلية إلى أن رسوم الأطفال تستمد من مصدر غير بصري فرسوم غير مدركة حسياً، أي من مفاهيم مجردة كما ذهبوا إلى أن الأطفال بمثابة رموز تعبر عما انطبع في أذهانهم من مفاهيم عن الأشياء، معاني الأشياء تتحور وتنمو وتتحدد ليس لأن هذه الأشياء تتغير في العالم الخارجي وإنما تبعا لازدياد خبرات الأطفال بها، ولتطور تكوين مفاهيمهم العقلية عنها، وأن رسوم الأطفال هي وسيلة للتفاهم والتعبير عن تلك المفاهيم بما تتضمنه من إدراك وتجريد وتعميم أكثر مما هي وسيلة لإظهار النواحي الفنية والجمالية. (القريطي، 35 :2001)

النظرية الإدراكية: صاحب هذه النظرية هو**Arnehim** وتتبنى هذه النظرية مبدأ "الأطفال يرسمون ما يرون" وتعتمد على مجموعة من المبادئ يعتمد كل منها على الأخر:

- الطفل يرسم ما يراه، متأثرا بعملية الإدراك أكثر من تأثره بالتفكير فالرسم من وجهة نظر(**Arnehim**) ضرورة كما أنه حل نهائي لمشكلة كيف تنظم وحدات طبيعية لها صفات معينة)
- كل نظرة يقوم بها الطفل تعتبر حكما بصريا تلقائيا تم تنظيم ملامحه بعملية إدراكية.
- العملية الإدراكية هنا –اعتماد على علم النفس الجشطالتي تبدأ بالكل وتتجه نحو التفاصيل.
- أن هناك فروقا بين إدراك كل من الأطفال والكبار، تعكسها رسومهم في صورة مقدار التفاصيل ونوع الرموز المستخدمة.
- يرسم الطفل أقل مما يرى –أقل مما يدرك- فهو محدود بالخامات التي يستخدمها والإمكانات التي لا تصل إلى إمكانات الفنان البالغ.

أكد(**Arnehim**) حقائق الفروق الفردية بين الصغار والكبار في الرسم، وحقائق الإدراك –كما جاء في علم النفس الجشطالتي-، كما أكد على الرسم من حيث تنظيمه في كل مدرك إلا انه أهمل تأثير العوامل الذاتية الداخلية على تنظيم الإدراك وعلى إثراء الأشياء المرئية كي يصبح الرسم أكثرمما يدرك الطفل) حسن1999.(232,231 .

نظرية التحليل النفسي: تعتبر هذه النظرية الصراع النفسي بمثابة المدخل الرئيسي في تفسير نشاط الفرد، فإذا ما تتبعنا الصراع الذي يحدث بين الأنا والهو نجد أن الأنا تقوم بدفع محتويات الهو التي تبحث عن الإشباع والتي ترى الأنا عدم السماح بإشباعها بعيدا عن الشعور، وذلك كي تحول بينها وبين الإشباع وهذه هي الحيلة النفسية الأولى التي تلجأ إليها الأنا للتخلص من هذه المحتويات المهددة، وتعرف هذه الحيلة بالكبت، غير أن ما يكبت لا يفقد بل يستمر في الضغط لمحاولة الإشباع ويزداد شعور الأنا بالتهديد فتستدعى الأنا أسلحتها الأخرى وهي مجموعة أخرى من الحيل الدفاعية تساعدها في التغلب على محتويات الهو، ويستمر هذا الصراع حتى تقد الحيل الدفاعية قدرتها على حماية

الأنا فتقع صريعة للاضطراب النفسي، والاضطراب النفسي هو وسيلة الأنا الأخيرة اللاشعورية لتحمي نفسها من مشاعر الإثم والهوان. (حسن، 224 : 1999)

كما يتناول بعض الباحثين رسوم الأطفال من منظور التحليل النفسي على أساس أن هذه الرسوم ليست محض نشاط عقلي يعكس عوامل معرفية معقدة، وإنما هي محكومة بعوامل أخرى وجدانية مرتبطة بمزاج الطفل وشخصيته وصراعاته ومشاعره ورغباته الدفينة، وتجاربه الشخصية، وغرائزه واحتياجاته المحبطة. إذ تعمل هذه المتغيرات كمنبهات لاشعورية بالنسبة للطفل، وعلى الرغم من أنها غير معلومة بالنسبة له، لكنها تؤثر على سلوكه وتطبع شخصيته، ومن ثم تنعكس على رسومه. فالمواد الغريزية والمكبوتة والرغبات والاحتياجات المحبطة –أي المحتويات اللاشعورية التي تبحث لنفسها عن منفذ للتعبير وعن مخرج للتنفيس والإشباع تجد ضالتها في التعبير الفني، بل وتمنح الأشكال المرسومة ذاتها طابعها المميز، من حيث نوعية الخطوط والهيئات والأحجام والأوضاع في الفراغ، والعلاقات التكوينية القائمة فيما بينها، وكمية تفاصيلها وألوانها، لذلك تعتبر رسومات الأطفال من وجهة نظر التحليليين بمثابة رسائل موجهة إلى الآخرين تصور أعماق شخصيات أصحابها أصدق تصوير. كما تعتبر الأشكال المرسومة رموزا بصرية ذات دلالات سيكولوجية معينة لما لها من علاقة وثيقة بالجانب اللاشعوري الخفي من شخصية الفرد، وبما يعانيه من مشكلات وصعوبات، ومن ثم يولي أصحاب المنحى التحليلي في تناول الرسوم أهمية كبيرة لإتاحة الحرية المطلقة للعميل سواء أكان طفلا أم بالغا كي يعبر بتلقائية كاملة وصراحة عن انفعالاته ومشاعره وعالمه الداخلي، دون إعاقته بتوجيهات معينة أو تقييده بمهارات أدائية محددة، مع ملاحظة سلوكه أثناء عملية الرسم ملاحظة دقيقة منظمة، وتسجيل ما تسفر عنه، ثم القيام بعد ذلك بدراسة رموزه الشكلية والربط فيما بينها، وتفسيرها في إطار المعلومات التي يتم جمعها عن حالة المفحوص(القريطي،38 : 2001)

كما يستند أصحاب هذا المنحى أساساً في تناول الرسوم على مفاهيم التحليل النفسي الكلاسيكي، وعلم النفس التحليلي، كالإعلاء، والإبدال، والإسقاط، والرمزية، والحدس. ويعتبرون اللاشعور هو المنبع الذي تصدر عنه كل الآثار والإبداعات الفنية لدى الأطفال والبالغين.

ويتخذ الباحثون في هذا الإطار من رسوم الأطفال والبالغين للشكل الإنساني خاصة مادة للاستثارة، وللتحليل الكمي والكيفي واستخلاص المعلومات، سواء الرسوم الحرة أو " الرسوم المقننة، كما تتمثل في الاختبارات الاسقاطية كرسم الشخص أو رسم العائلة ويعولون في تحليلاتهم للرسوم على نقاط مختلفة من أمثال: تماسك الشكل المرسوم "ووحدته، توالي أجزاء الرسم، اللون، الوضع، الحجم، خطوط الرسم، كمية التفاصيل وملاءمتها، الحذف، التظليل، التحريف، المحو، الضغط والتأكيد، أجزاء الرسم كالرأس والفم، والأنف والعيون، والشعر والأذرع، وغيرها.

ولم يعد الأمر قاصراً من الوجهة التحليلية على مجرد استخدام الرسوم كوسيلة تشخيصية تساعدنا على اكتشاف وفهم تلك المشاكل والصراعات التي يعانيها الأطفال والبالغين، وإنما أصبحت الرسوم والأنشطة الفنية عموما وسيلة علاجية في الوقت ذاته، وذلك لما تتيحه للفرد من فرص لإسقاط مكنونات نفسه الداخلية ومفهومه عن ذاته وعن الآخرين وللتنفيس عن انفعالاته ولتجسيد عواطفه عن طريق الرموز الشكلية البصرية. ولما يترتب على ذلك

كله من آثار بنائية على الشخصية كالشعور بالايجابية والاتزان والاسترخاء، والاستبصار بالمشكلات وتقوية الأنا وتنمية الشعور بالهوية. (القريطي،39 : 2001)

كما اهتمت (ماكوفر وباك وليفي) وغيرهم من المتحمسين لاستخدام الرسم كأداة اسقاطية لدراسة الشخصية، اهتموا بدراسة المعاني الرمزية لتفاصيل رسم الشخص، وتعتمد معظم هذه الدلالات على أسس وفرضيات مستمدة من مدرسة التحليل النفسي. (بدري،(104 : 2001

النظرية السلوكية: يؤكد أصحاب هذه النظرية عموما على الدراسة التجريبية، وتحليل القوى والظروف البيئية الخارجية (المثيرات) والسلوك الملاحظ (الاستجابات) واكتشاف القوانين الحاكمة لاكتساب هذا السلوك ومن ثم تعديله. ويبرزون دور التعلم والعوامل البيئية والخبرة أكثر من أي عوامل أخرى في تشكيل السلوك، كما يستخدمون الطرق الموضوعية التجريبية وصولا إلى المعرفة والتفسير العلمي للظاهرة موضوع الدراسة.

وتعالج الرسوم وفقا لهذا المنحى من خلال تركيز الفحص على الرسوم كناتج نهائي، وجمع الدلائل عن الخطط والاستراتيجيات السلوكية المؤدية إلى هذا الناتج، ودراسة موقف الأداء وشروطه، والمنبهات التي يعمل الطفل في سياقها، وتحليل الاستجابات باستخدام مفاهيم مثل إستراتيجيات التخطيط، مع استبعاد محاولة تفسير العمليات العقلية المعقدة القائمة وراء هذه الاستراتيجيات القابلة للملاحظة والتفسير. (فرج، 52 :1992)

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الرسم كسلوك يمكن تعلمه من وجهة النظر السلوكية تحديد ما يجب أن يكتسبه الطفل، وتنظيم الظروف البيئية اللازمة لعملية التعلم، فالبيئة هي المسئولة عن تشكيل السلوك وتدعيمه. وتبعا لذلك فإن الرسوم كناتج تصبح مؤشرا على مدى فهم الطفل للمهمة التي قام بأدائها، ولاختبار ما إذا كان قد تم تحقيق الأهداف التي سبق تحديدها أم لا ؟. ويقاس نجاح الطفل أو فشله في تحقيق الانجاز المطلوب وفقا لمحك محدد مسبقا مثل بعض المهارات التصويرية والإدراكية وتحقيق التناسق اللوني وإدراك التناسب. (القريطي،40 : 2001)

هذا يعني أن اختبار المنتج النهائي –الرسوم- يستلزم تشريح هذا المنتج إلى عدة أجزاء بحسب تطور عمليات التخطيط والتنظيم الممكن ملاحظتها وهو ما يؤدي إلى فقدان المعنى فإن ما سينقص الطفل عندئذ ليس " الحقيقي للتعبير ووفقا لما ذكره "**Lowenfeld & Brittain** هو المهارات وإنما هو الدافع لأن يرسم ويصور مباشرة بحرية وتلقائية دون خوف من التقييم،ودون أن نخبره بأن عليه أن يحسن إحساسه اللوني، أو يتقن قواعد المنظور.)القريطي، 2001)

4. الرسم لغة للتعبير الانفعالي والتواصل:

الرسم كما أنه لغة، فهو صورة عقلية أو استجابات عقلية لخبرات سابقة، هذه الخبرات هي في الواقع ذكريات وأفكار تشكل الحياة الاجتماعية والعلاقات الشخصية للشخص القائم بالرسم، وعلينا أن نحول هذه الذكريات والأفكار إلى إدراكات ومشاعر، أي علينا أن نفك رموز اللغة الخاصة بالرسم، وهذا يعني أن نصل إلى التطابقات الإدراكية أو بمعنى آخر نصل إلى المدركات الحسية الواقعية التي تطابق الاستجابات العقلية وهذا يؤدي بنا إلى أن

نحول الماضي إلى حاضر، أو بمعنى أصح نفسر الحاضر في إطار الماضي، وذلك حيث نفسر الاستجابات العقلية في إطار المدركات الحسية، أي نفسر الذكريات والأفكار في إطار الإدراكات والمشاعر.ومن الناحية التاريخية فقد استخدم الإنسان الرسوم لتسجيل مشاعره وأفعاله منذ فترة طويلة، قبل أن يستخدم الرموز التي تسجل الكلام المعين، فمنذ إنسان الكهف، مروراً بالأزمنة المتعاقبة، والإنسان–كل من البدائي والمتحضر– يعبر عن انفعالاته ومشاعره وأفكاره الدينية، وحاجاته من خلال العمل الفني(**Hammer, 1980 :7**)

وقد استغل الإنسان البدائي الرسم في الكهف كوسيلة تعبيرية يحاول من خلالها أن يتصور نفسه في الأوضاع التي يعدو فيها وراء الغزلان مصوباً رمحه أو محاولاً اصطيادها، فرسم الطبيعة عند الإنسان البدائي يعتبر إعداداً ذاتياً لمجابهة الموقف الوظيفي في الحياة نفسها(البسيوني، 67 -66 : 1969)

كذلك نجد أن صغار الأطفال عادة ما يعبرون عن أنفسهم بشكل طبيعي وتلقائي من خلال الأفعال أكثر من الكلمات، ولذلك فإن الرسم يعد وسيلة ممتازة لارتياد عالم الطفل، فمن السهل دائما استخدام اختبارات الرسم، بينما يصعب استخدام الأساليب الأخرى لكونها محددة بعوامل معينه مثل حاجز اللغة والحرمان الثقافي وعدم القدرة على التواصل.

والرسم بهذا المعنى إنما هو لغة تعبيرية وهذا ما يتضح في رسوم الأطفال، وكلمة لغة تعني أن: "الطفل يستخدم الرسم كوسيلة للاتصال بغيره من البشر، فعن طريق هذه الرسوم ينقل الطفل خبرته للآخرين الذين يستطيعون بدورهم أن يقرؤوا من خلال الرسوم هذه الخبرة وبالتالي يفهموا الكثير مما يدور في عقل الطفل أو يثير اهتمامه"، فالرسم كلغة تعبيريه يعني: "نقل المعاني كما يعني القدرة على الاتصال بالآخرين (البسيوني، 211 .1975)

وهذا يعني أن الرسم بالنسبة للطفل هو لغة بدائية وطريق للتغيير أكثر منه كوسيلة لإبداع وعلى هذا يعتبر الرسم أحد القنوات التي من خلالها ، يستطيع الطفل أن يعبر عن مخاوفه وآماله وخيالاته ذلك أن الرسم إنما هو وسيلة للاتصال كما أنه ما زال الطريق الذي من خلاله يستطيع أن يطلق عنان المشاعر والدوافع غير أنه من الملاحظ أن لغة الرسم تتكون من صور وهي أقرب من ذلك إلى اللغة الهيروغليفية، وهذا يعني أن الشخص الذي يرسم يقوم بتحويل الأفكار إلى صور، أما الشخص المتلقي فعليه -حتى يفهم معنى الرسم- أن يحول الصور إلى أفكار، أما إذا نظرنا إلى الجهة المقابلة نجد العكس، بمعنى أن القائم بتحليل الرسم أو المحلل يسعى إلى إبدال اللغة المصورة بلغة أخرى حديثة إلى كلمات وإلى نظم وقوانين يعيشها المفحوص في الوقت الراهن.

5. الرسم وحيل الدفاع النفسية:

تعتبر حيل الدفاع النفسي أساليب غير مباشرة لإحداث التوافق النفسي، فهي وسائل وأساليب توافقية لاشعورية من جانب الفرد وظيفتها تشويه ومسخ الحقيقة حتى يتخلص الفرد من حالة التوتر والقلق الناتجة عن الاحباطات والصراعات التي لم تحل والتي تهدد أمنه النفسي، وهدفها وقاية الذات والدفاع عنها والاحتفاظ بالثقة في النفس واحترام الذات وتحقيق الراحة النفسية والأمن النفسي. كما واعتبر غريب وآخرين، 2008 هذه الحيل بمثابة أسلحة دفاع نفسي تستخدمها الذات ضد الإحباط والصراع والتوتر والقلق، حيث أنها محاولات للإبقاء على التوازن

النفسي من أن يصيبه الاختلال، فهي حيل عادية تحدث لدى كل الناس، السوي واللاسوي والعادي والشاذ والصحيح والمريض، ولكن الفرق بينهما هو نجاح السوي وإخفاق اللاسوي، كما أن وجودها بصورة معتدلة عند السوي وبصورة مفرطة عند المريض، وما زاد عن الحد انقلب إلى الضد. (غريب، آخرين، .200828-29)

حيث يعتبر فرويد أول من أدخل مفهوم آليات الدفاع أو الحيل الدفاعية، ويرى أن الناس يلجؤون إليها لحماية أنفسهم كما أنها تساعدهم على معالجة الصراعات والاحباطات، وهي أساليب عقلية لاشعورية تقوم بتشويه الخبرات وتزييف الأفكار والصراعات التي تمثل تهديداً، وهي تساعد الناس عل خفض القلق حينما يواجهون معلومات تثير التهديد.

ويعرف الحفني، 2003 آليات الدفاع النفسي بأنها إجراءات لاإرادية أو لاشعورية تُستنفر طبيعياً لوقاية الشخصية من نتائج الخبرات المؤلمة مثل الكبت، والنسيان، .... الخ. (الحفني، 779 :2003)

ولعل أهم الحيل السيكولوجية التي نجدها في الرسم الحيل التالية:

الإنكار: هو حيلة دفاعية لاشعورية نأتيها عن غير عمد هربا من مواقف أو أفكار أو رغبات مؤلمة لا يتحصل لنا منها سوى القلق، والهروب منها لا نقصد إليه ولا نسعى له ولكننا نأتيه بشكل طبيعي ولا نعي أننا نأتيه فنعمى عن المشكلة ولا نتعامى عنها ونجهلها ولا نتجاهلها، ومن ذلك أن الآباء لا يدركون في أبنائهم ما يدركه الغير فيهم، وقد يبتر عضو للشخص فيظل يشعر به ويأتي من التصرفات وكأن العضو لم يبتر. (الحفني، 270 :2003)

فكما أن الرسم يعد تعبيراً عن الواقع، فإنه أيضاً إنكار للواقع وتعديل له بحيث يتلاءم مع رغبات الشخص القائم بالرسم، فالطفل الذي يرسم نفسه جميلاً ويرتدي الثياب الجديدة زاهية الألوان، بالرغم من أن الواقع يدل على فقر مدقع أو شكل مشوه، أو ذلك الطفل الذي يرسم نفسه يسير على أقدامه بالرغم من أنه في الواقع مصاب بشلل أطفال، كلا الطفلين ينكران الواقع المؤلم(خضر،(38 : 1989

الإزاحة: تعرف غريب وآخرون، 2008 الإزاحة أنها إعادة توجيه الانفعالات المحبوسة نحو أشخاص أو موضوعات أو أفكار غير الأشخاص أو الموضوعات أو الأفكار الأصلية التي سببت الانفعال. وعادة يكون الأشخاص أو الموضوعات أو الأفكار التي تزاح إليها الانفعالات هدفا آمنا أو على الأقل أكثر أمنا من الهدف الأصلي.(غريب وآخرون2008،ص33)

وتتضح الإزاحة فيما يلجأ إليه بعض الأطفال حين يرسمون أشكالاً تمثل أشخاصاً معينين داخل الأسرة، وبعد ذلك يمزقون الرسم أو يسودونه، وربما يرغب هؤلاء أن يأخذوا بالثأر، حيث يحطمون بهذه الطريقة الشخص الذي يحملون له الضغينة أو الذي يشعرون بخطره عليهم، وهم يشعرون بالإثم العظيم للاعتراف بهذه المشاعر ضد أعضاء الأسرة، ولكن بهذه الطريقة ربما يعبرون ويفرغون مشاعرهم الحقيقية.

التكوين العكسي: عندما يتصنع الإنسان في إظهار عواطفه، فإن تكوين رد الفعل يفضح تصرفاته، لأنها بمثابة حيلة إبدالية، يظهر هذا الإنسان من خلالها غير ما يبطن وكثيرا ما نرى أولئك الذين يحاولون أن يظهروا عواطفهم بطريقة مبالغ فيها، وسرعان ما ينكشف حالهم، وتدحض على أرضية الواقع عواطفهم المتأججة بغير داع والمزيفة بحكم طبيعته، ولعل ذلك ما جعل البعض يتشككون في كل ما هو مبالغ فيه من العواطف والقبلات، التي قد يواجهنا بها

بعض الأفراد تعبيرا عن صداقتهم ومحبتهم، هذا التصنع يعبر عن النفاق والسلوك غير الدقيق، الذي يجعل صاحبه في صورة مهزوزة، لأنه يبالغ في انفعالاته وإظهار عواطفه. (صبحي200092:) يلاحظ ميكانزم التكوين العكسي في رسوم الأفراد الذين يحاولون جاهدين إخفاء أشياء معينة حتى إذا ما أصبحت جزءاً من اللاشعور يظهر نقيضها في الشعور، ويغلب ظهور هذا الميكانزم في المبالغة بإبراز أجزاء معينة من الجسم أكثر من غيرها. فمثلاً نجد أن الرأس هو أساساً مركزاً للقوة العقلية والسيطرة الاجتماعية والتحكم في دوافع الجسم، ولهذا فقد يرسم ضعيف العقل رأساً كبيراً نتيجة للقصور والإحباط (ماكوفر، 61,60 :1987 وإذا رسمت الأيدي في حجم ضخم فربما يدل ذلك على شعور المفحوص المبالغ فيه بعدم كفاءة المعالجة اليدوية أو صعوبات التواصل أو النقص، ذلك أن الأذرع والأيدي هي أعضاء الاتصال والمعالجة اليدوية للجسم(**Hammer, 1980: 108**

التكثيف: تعبر ملامح الوجه بصفة عامة عن الحاجات الاجتماعية، ويعتبر الوجه علامة التوافق الاجتماعي، ومن ثم فإنه إذا بذلت محاولة واضحة لرسم الوجه في مظهر سعيد، يحتمل أن يكون هنا نلاحظ أن : المفحوص واعياً بشدة بحاجته إلى الاحتفاظ بواجهة مقبولة (مليكه، 2000.63)

ملامح الوجه هي الجزء الذي حدث منه التكثيف، في حين يمكن أن يحدث التكثيف في منطقة الفم تعبيراً عن العدوان الفمي والشخصية السادية، فالفم الواضح ذو الأسنان البارزة يعتبر دليلاً على العدوان الفمي (ماكوفر، 68 :1987) أو قد يحدث التكثيف من خلال الرأس، باعتبار أن الرأس هو أساساً مركزاً للقوة العقلية وذلك حيث نجد أن كلاً من البارانوي والنرجسي والعبقري والمغرور يرسم رأساً كبيراً كتعبير عن أناه المتضخم (ماكوفر، 61 1987 ومن المهم هنا أن نوضح بأن عنصر الرسم الواحد هنا يعبر عن أفكار عديدة، وهو بديل عنها جميعاً.

الإعلاء (التسامي) وهو الارتفاع بالدوافع التي لا يقبلها المجتمع وتصعيدها إلى مستوى أعلى أو أسمى، والتعبير عنها بوسائل مقبولة اجتماعيا. مثال ذلك: إعلاء إشباع الدافع الجنسي بكتابة الشعر الغرامي، وإعلاء إشباع دافع العدوان إلى رياضة مثل الملاكمة (غريب 2000 ص30)

يستطيع الإنسان بواسطة حيلة الدفاع –الإعلاء-أن يرتفع "يتسامى" بسلوكه العدواني المكبوت إلى فعل آخر مقبول اجتماعياً وشخصياً، فمثلا العمل الفكري والفني والأدبي والشعري والفني ما هو إلا مظاهر لأفعال تم التسامي بها وإعلاءها من دوافع ورغبات داخلية مكبوتة في النفس إلى أعمال مقبولة في النفس إلى أعمال مقبولة وتجد الرضا من أفراد المجتمع.كما ترى الببلاوي، 1979 بأن الأطفال يتسامون بسلوكهم العدواني المكبوت إلى تفريغه من خلال الرسم. فالتأكيد المبالغ فيه عند الأولاد يظهر برسم الطائرات والدبابات ومناظر المعارك والمسدسات، بينما تظهر في رسوم البنات الحقيبة وزينة الشعر والوجه والزخرفة. (الببلاوي، (136 -135 : 1979

الإلغاء: هو وسيلة تستخدم بكثرة بالغة، وهي ترجع إلى مرحلة مبكرة جداً، وهي عبارة عن سحر سلبي يحاول القضاء على الحوادث ذاتها، ونحن نشاهد وسيلة إلغاء الفعل في أول الأمر في العصاب القهري في الأعراض التي تظهر على مرحلتين، التي يقوم فيها الفعل الثاني بإلغاء ويتضح ميكانزم – الفعل الأول بحيث تصبح النتيجة كأنها لم تحدث (فرويد، 91 :1983)

الإلغاء-في الرسم- فيما يلجأ إليه بعض الأفراد إلى محو أجزاء الجسم، وترى "ماكوفر" أن هذا الشكل من معالجة الصراع يشاهد غالباً لدى العصابيين ومرضى العصاب القهري والسيكوباتيين وهو يعتبر دليلاً على القلق. (ماكوفر، 131 :1987)

الكبت: يعرف الحفني الكبت أنه وسيلة يستبعد بها الشخص أفكاره ورغباته المؤلمة أو الخطرة من حيز الشعور، تلقائيا وبدون قصد أو تعمد(الحفني،266: 2003)

تعتبر ماكوفر، 1987 أن الحذف الذي يتم لبعض أجزاء الجسم أثناء التعبير بالرسم، يمكن أن يعد مقابلاً للكبت كميكانزم دفاعي وهو يعبر عنه أصدق تعبير، ويرى "هامر" أنه إذا تم حذف الأيدي من رسم الذات فإن المفحوص يعبر بذلك عن صعوبات التواصل مع الآخرين أو مشاعر الإثم المتعلقة بنشاط الاستمناء، كذلك فإن القبضات المغلقة توحي بعدوان مكبوت وإذا رسمت الأرجل والأقدام أولاً وأعطيت اهتماماً زائداً أكثر من ذلك الموجه لبقية الجسم، فإن ذلك ربما يعبر عن تثبيط الهمة أو الكبت.)ماكوفر،(92 :1987

التوحد: وهو أن يجمع الفرد ويستعير وينسب إلى نفسه ما في غيره من صفات مرغوبة ويشكل نفسه على غرار شخص آخر يتحلى بهذه الصفات. فكثيراً ما يلجأ الأطفال إلى التوحد بالكبار، وهم يسجلون ذلك في رسومهم، حيث يلعبون من خلال الرسم أدوار الآباء والأمهات، ويمكن تمثيل صورة الجسم، ليس فقط عندما يرسم الطفل شكل الإنسان، ولكن أيضاً من خلال رسم أشكال أخرى، وذلك أن الطفل قادر على أن يوحد نفسه مع الموضوعات والآلات فأحياناً يرسم الطفل شجرة عفية ذات جذور قوية تظهر تشابهاً قوياً مع الشكل الصغير بجانبها الذي يقف أيضاً بصلابة وثبات. (خضر، 41,40 :1989)

النكوص: عرف الحفني النكوص أنه استجابة دفاعية تعني الارتداد أو الرجوع إلى استخدام أنماط من الاستجابات كانت مناسبة لمراحل باكرة من التطور، أو تعديل السلوك نحو أنماط أكثر بدائية أو أقرب إلى الطفولة. (الحفني، 266 : 2003)

حيث نلاحظ النكوص في رسم طفل يبلغ من العمر 6 سنوات لأسرته، قام برسم نفسه في حجم شقيقه الذي يبلغ من العمر 6 شهور، نظرا لكون الصغير أصبح منافساً قوياً أخذ منه انتباه الأسرة وهنا نجد الطفل قد نكص إلى مرحلة مبكرة من حياته هي مرحلة الرضاعة، وذلك حتى يحصل على الاهتمام الذي تحول عنه إلى الصغير.

التعويض : عرف الحفني التعويض أنه وسيلة دفاع ضد الشعور بالنقص والقصور الناتجين عن عيوب شخصية متخيلة أو حقيقية، وعن الفشل، فيحاول الشخص أن يعوض عنها أو يغطي عليها. (الحفني، 267: 2003)

ومن الأمور الدالة على لجوء المفحوص إلى التعويض _أثناء التعبير بالرسم_ أنه قد يرسم شخصاً بذراعين مفتولين وطويلين جداً بصورة لا تتناسب مع الشخص المرسوم، وربما يدل ذلك على حاجة المفحوص إلى التعويض عن طريق القوة الجسمية.

وفي رسوم الشكل الذكري قد يتم تأكيد الأكتاف الضخمة على حساب الأجزاء الأخرى من الشكل كتعويض زائد لمشاعر عجز الجسم. (ماكوفر، 100 :1987)

وإذا كان الرأس مرسوماً بوضوح تام في تناقص مع رسم الجسم الذي بشكل كروكي مبهم، دل ذلك على أن الفرد ربما يلجأ عادة إلى التخيل كحيلة تعويضية أو ربما يكون لديه مشاعر بالنقص أو الخجل فيما يتعلق بأجزاء جسمه ووظائفه أما رسم الأيدي بحجم مبالغ في الكبر بواسطة طفل صغير، فيعد تعويضاً عن الضعف (**Hammer, 1980: 61**)

6. إستخدام رسوم الأطفال في التشخيص النفسي

لوحظ من خلال فحص الأعمال الفنية المبدعة لعدد من الأفراد، أنهم يعبرون في رسومهم عن قصد وأحيانا بدون وعي عن مفهومهم لذاتهم كما هي في الواقع أو كما يودوا لو، ويعبر(**Tunnelle**) عن هذه الظاهرة بقوله أن الفنان لا يرى الأشياء كما هي عليه في الواقع ولكن كما يعيش من خلالها، كما يعبر عنها(**Hammer**) حيث يقول عندما يرسم الفنان صورة، فانه يرسم اثنين، نفسه والجالس أمامه . (**Hammer, 1980: 16**)

وهذا يعني أن استخدام الرسم كأداة تشخيصية يقوم أساساً على مسلمة مؤداها أن الرسم إنما هو إسقاط لمفهوم الشخص القائم بالرسم عن ذاته وعن الآخرين في بيئته وعالمه الذي يعيش فيه ومن خلاله ويجد هذا تأييداً فيما توصل إليه(**England** حينما سأل مجموعة من الأطفال يتراوح أعمارهم بين27 – 10 سنة أن "يرسموا أكثر حدث مهم في حياتهم"، فاتضح أن (% 14)من الرسوم كانت تعبر عن المخاوف والأكثرية العظمى من رسوم مواقف الخوف تعكس حوادث هامة صادمة (**Goodenough& Harris, 1950: 207**)

أيضاً وجد باك أن الرسم الذي يقوم بعمله الأشخاص الشواذ يختلف في كثير من النواحي عن رسم السويين (ملكية، 45: 2000) وذلك أن الرسم – خاصة التلقائي– الذي يقوم به الفرد إنما يعكس أبعاد شخصيته الكلية، وحالته العقلية والجسمية، وخاصة فيما يتعلق باللحظات الحرجة من الحياة.

واستخدام الرسم كأداة تشخيصية يمكن أن يتم من خلال أساليب الرسم المتعددة، من خلال تحليل الرسم الحر الذي يقوم به الأفراد، وعلى سبيل المثال فقد وجدت **Campo & villar, 1978** في دراسة لها للتعرف على الفائدة الإكلينيكية من اختبار رسم حيوان، أن رسوم الحيوان تتضمن معلومات –أكثر من رسوم الإنسان– عن الدوافع الفمية والشرجية، وأنها ترتبط بشكل غير محكم بأعراض وعلل معينة(احمد فرينة2001)

أن معظم علماء النفس الإكلينيكيين قد اتفقوا على أن رسم شكل الإنسان يعد أداة إسقاطية قيمة لتشخيص وتقييم الأطفال ذوي الاضطرابات الانفعالية.

وفيما يتعلق باستخدام رسوم شكل الإنسان كأداة تشخيصية، فقد لوحظ وجود فروق دالة بين الأسوياء وبعض الفئات الإكلينيكية في تناول كل منهم لعناصر رسم شكل الإنسان، حيث وجد(**Gooldworth**) فروقاً دالة بين الأسوياء والعصابين والذهانيين ومرضى إصابات المخ، في حجم الرأس وتعبيرات الوجه، ورسم الأذرع والأيدي، ورسم الأرجل والجذع، حيث يميل الأسوياء إلى رسم نسب واقعية لهذه الأعضاء من الجسم وتكون تعبيرات الوجه في رسومهم"سعيدة " وذلك على عكس الفئات الأخرى حيث يميلون إلى المبالغة في تحريف هذه الأعضاء وتكون تغييرات الوجه في رسوم "غير سعيدة.

ووجد **Roback& Wersinn** أن المرضى المكتئبين يميلون إلى رسم أشخاص صغيرة الحجم بخلاف المرض غير المكتئبين. بينما وجد**Exner** ان العصابيين ومرضى اضطراب الشخصية يرسمون البروفيلات بدرجة أكبر من الأسوياء(احمد فرينة2001)

أما(**Holzberg& Wexler**) فقد وجدا أن الأسوياء يميلون إلى العناية بتفاصيل حواجب العين بدرجة أكبر دلالة من الفصاميين .

هذا وتتضح القيمة التشخيصية لرسوم الأطفال من حيث كونها تقدم للمحلل النفسي سجلاً لتاريخ حياة الطفل، يمكنه من دراسة تشخيص المرض النفسي الذي ينتاب الطفل، وعلى ذلك يمكنه معرفة أسبابه فيقترح العلاج المناسب له. (البسيوني،18 : 1984)

ولكن من البديهي أننا قبل أن نصل إلى تشخيص الحالة من خلال الرسوم التي رسمتها، فإنه يكون لزاماً علينا أن نقوم بتحليل الرسوم نزولاً، ومن هنا فنحن نتساءل عن الطريق الذي يمكن أن نسلكه في سبيل تحقيق ذلك؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، فإننا نرى أنه وفقاً لنظرية الجشطلت، فإن الكل أكبر من مجموع الأجزاء وهذا يعني أننا إذا أردنا أن نفسر مسلك إنساني معين علينا أن نفسر ذلك في إطار الشخصية الكلية لهذا الإنسان، وكذلك إذا أردنا أن نفهم معنى رسم معين، يمكن لنا أن نحقق ذلك في إطار الحياة الشخصية والظروف الاجتماعية للشخص القائم بالرسم.

ومعنى هذا أن الرسم –بما هو ظاهرة إنسانية– لا يمكن النظر إليه باعتباره ظاهرة قائمة بذاتها، ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا أنها مظهر من مظاهر الكائن الحي الإنساني نستطيع أن نفهم معناه ودلالته بالرجوع إلى ما يميز هذا الكائن الإنساني ككل، وفي إطار من الشخصية الكلية، فالشخصية كل دينامي، وما ينتج عنها – في شكل رسوم – أجزاء وليست أكلال، يجب حين تناولها أن نردها مرة ثانية إلى الكل الذي نبعت منه وتنتمي إليه، وفي هذا يشير غنيم،برادة إلى أن معرفة الفاحص بعض نواحي شخصية المفحوص قد يساعده على تفسير المادة التي يتضمنها تقريره وبالتالي تساعده على الكشف عن شخصية المفحوص ومعرفة نواحي السواء وعدم السواء في شخصية(غنيم،برادة،42 : 1980)

وبناء على ما سبق يجب علينا عندما نقوم بتحليل رسم ما أن نضع في اعتبارنا الشخص القائم بالرسم، بمعنى أن نحلل الرسم ونبحث عن دلالته في إطار الكل من خلال إرجاعه إلى الشخصية النوعية للشخص القائم بالرسم لا إلى إطار ثابت من الرموز والدلالات ويجد هذا الرأي ما يؤيده فيما توصلت إليه ماكوفر من أن كلاً من ضعيف العقل والبارانوي والنرجسي والعبقري والمغرور يرسم رأساً صغيراً نتيجة للقصور والإحباط في حين يرسم البارانوي أو النرجسي أو العبقري أو المغرور رأسًا كبيرة كتعبيره عن أناه المتضخم (ماكوفر، 61 :1987 كذلك لوحظ بين طلاب الجامعات من ذوي الذكاء المرتفع نزعة إلى تكبير حجم الرأس بالنسبة إلى "الشخص" المرسوم، مما يشير إلى تأكيد تحت شعوري للأهمية التي ينسبونها إلى دور الذكاء في شئون الإنسان(مليكه، 63 : 2000)

وعلينا أن نسأل دائماً لماذا؟ ... أعني لماذا تم هذا الرسم على النحو الذي تم عليه ولم يتم على نحو آخر؟ ... إن ذلك يشير إلى أن هناك حتمية نفسية هي التي تؤدي بالشخص القائم بالرسم إلى أن يقوم بصياغة رسمه (للذات أو الأقران أو الأسرة ... الخ)، على نحو معين، يختلف بالضرورة عن الصياغة التي يقوم بها شخص آخر يتناول نفس موضوع الرسم، هذا الاختلاف بين الأشخاص يتضح في تناول أبعاد الرسم وخاصة فيما يتعلق منها بالتفاصيل والنسب والمنظور، وتفسير هذا الاختلاف سوف يقودنا في النهاية إلى تلك الشخصية الفريدة التي تميز شخص عن آخر. فنتاج هذه الشخصية من رسوم لا بد إذن أن يفسر في إطار هذه الشخصية التي قامت بالرسم وليس شيئاً آخر.

7. استخدام رسوم الأطفال في العلاج النفسي

يعتمد العلاج التحليلي باستخدام الرسم على أساس التنفيس عن اللاشعور، وذلك عن طريق ميكانيزم الإسقاط من خلال الرسم، ويمكن أن يكون هذا العلاج هو العلاج الأولي أو العلاج المساعد، وهو يصلح لعلاج الاضطرابات السلوكية وحالات العصاب والذهان، كما أنه يمكن استخدامه مع الراشدين والمراهقين والأطفال، وتستند عملية العلاج عن طريق الرسم على أساس تقدير أن الأفكار والمشاعر الأساسية للإنسان في اللاشعور يعبر عنها في صور أكثر مما يعبر عنها في كلمات، ويفترض ذلك أن كل فرد سواء قد تدرب على الرسم أو لم يتدرب يملك طاقة كامنة لإسقاط صراعاته الداخلية في صور بصرية ويكون الاتصال بين المعالج والمريض اتصالا بالرمز (مليكه، 235 :2000)

كما أن رسومات الأطفال تعتبر لغة تعبيرية، لأنها تستطيع أن تجعل المبهم مرئياً، وأن تقول ما لم يقل، وان تحول ما هو لا واع إلى واع، أكان ذلك على مستوى العلاج الفردي للطفل، أو كان ضمن علاج جماعي أو علاج أسري. (ساكو،225 : 2002)

فالرسم باعتباره وسيلة من وسائل التعبير يعطي فرصة للمعبر كي يعكس كثيرا من الأفكار الكافية عنده التي تقلقه بين حين وآخر، فإذا تم الإفصاح عنها من خلال الرسم أمكن: للفرد أن يعيد اتزانه مع البيئة وأن يتخلص من حالة القلق التي كان عليها.

وقد أشار مصطفي، 2005 إلى أن هناك كثيراً من الدراسات قد توصلت إلى أن من يمارسون الرسم في المراحل الأولى من أعمارهم يمرون عادة بمرحلة المراهقة بنجاح ودون أي مشاكل نفسية كما يتميزون بتكامل شخصيتهم ووعيهم. (مصطفي، 166 :2005)

غير أنه من الملاحظ أن بعض الأطفال يجدون صعوبة كبيرة من البداية في الحديث عن مدلولات رسومهم، إلا أنهم بعد فترة من الاتصال العلاجي يتداعون غالبا للرسوم ويكشفون بذلك الكثير مما يفيد في التشخيص والعلاج. (مليكه، 192 : 2000)

ومن جهة أخرى فقد تأكد ستانوجفيك ورادولفك من أن الرسم مفيد في نمو التفكير اللغوي أثناء المرحلة العمرية 3الى 7 سنوات وأنه يمكن أن يستخدم بايجابية في علاج الأطفال ويرجع ذلك إلى فقر التعبير اللغوي للطفل وعدم القدرة على أن يتأمل ذاته من جهة ويفقد الطرق المنطقية للتفكير من جهة أخرى، ومن ثم يكون التعبير عن الذات بالرمز أعظم وسيلة مؤثرة لتحليل السلوك، فهو يمكن المعالج من أن يساعد الطفل من خلال ربط الرسوم

بخبراته، وبالتالي يتبين الطفل بنفسه الاضطراب الانفعالي .وتعتبر فورتين أن رسومات الأطفال هي لغة تعبيرية، لأنها تستطيع أن تجعل المبهم مرئيا، وأن تقول ما لم يقل، وأن تحول ما هو لا واعٍ إلى واعٍ، أكان ذلك على مستوى العلاج الفردي للطفل، أو كان ضمن علاج جماعي أو علاج أسري. (دوكوبير،ساكو، 2002.225 :)وأحيانا تستخدم رسوم الأطفال كعامل مساعد في العملية العلاجية، وفي هذا الاتجاه استخدم **Remotique**,العلاج بعمل قصة في دراسة له ترتكز على استخدام الرسوم والأعمال الفنية كجزء مكمل للعملية العلاجية، حيث استخدم العلاج بعمل قصة مع طفلة _تبلغ من العمر 7 سنوات _كانت فقيرة الاتصال في العلاج باللعب، حيث كان يحكي للطفلة في كل جلسة جزءاً فجزءا من القصة، وكانت القصة ترسم بالألوان بواسطة فنان، وكان الفنان يتصل بالطفلة قبل كل جلسة علاجية، وفي أثناء تطور العلاج كونت الطفلة علاقة مع الفنان ومع الرسوم، وقد أدى هذا الاتصال من خلال الرسم المتبادل بين الفنان والطفلة إلى تحسين مفهوم الطفلة لذاتها، ووسع من مقدرتها على الاتصال بالآخرين. أيضا لاحظت(**Margolis**) تغير في رسم الشخص لفتاة شبه فصامية تبلغ من العمر16 عاما خلال 9 شهور من العلاج النفسي، حيث لاحظت أنه في بداية العلاج كانت الفتاة خائفة، تتصرف كالأطفال ليس لها أنشطة اجتماعية، ليس لها أصدقاء حتى أنها سعت لدخول دير الراهبات، وفي هذا الوقت رسمت فم يدل على أنه فم جبان ومتجهم، ولكن بعد تسعة أشهر من العلاج، عندما أصبحت المريضة أكثر اتصالا بالخارج، أكثر اجتماعية، وأكثر كفاءة في الوظيفة العقلية، رسمت الفتاة فم مكتمل ولكن صغير(احمد فرينة2001).

كذلك وجد جوتمان أن المرضى الذين لا يتقدمون في العلاج يتملكهم ميل نحو رسم عيون مثقوبة أو عيون فارغة، فهي سمة للفصامي البسيط أو الشخصية شبه الفصامية، وأن كلا النموذجين لهما دلالة ضعيفة نحو العلاج النفسي.

وإلى جانب ما سبق فان رسوم الطفل تبرز أيضاً العلاقة المميزة بين الطفل المريض والمعالج بالرسم، التي يمكن أن تأخذ مكانتها في أثناء سير العلاج. (البسيوني، 255:1975)

يتضح مما سبق أن الرسم الإسقاطي يمكن أن يستخدم كوسيلة للعلاج النفسي، وهو قد يستخدم في العلاج كأداة أساسية أو كأداة مساعدة للعملية العلاجية.

خاتمة

تناولنا في هذا المقال الرسم باعتباره محطة مهمة من البرنامج العلاجي فبينا الدور الكبير الذي يلعبه في حياة الطفل سواء من ناحية تشخيص الاضطرابات النفسية وكذلك دوره الهام في علاج هذه الاضطرابات، فالرسم عبارة عن وسيلة رمزية للطفل ليطل بها على العالم الخارجي وينفس بها عن مكبوتاته ويصرح به عن رغباته لان الطفل لابد له من بديل ليتواصل مع العالم الخارجي وهو وسيلة مهمة للمعالج ليطل بها عن الحياة الداخلية للطفل.

قائمة المراجع:

1. البسيوني، محمود (1987): "تحليل رسوم الأطفال"، دار المعارف، القاهرة.
2. البسيوني، محمود (1984): "سيكولوجية رسوم الأطفال"، دار المعارف، ط2، القاهرة.
3. البسيوني، محمود (1975): "أصول التربية الفنية"، ط2، دار المعارف، القاهرة.
4. البسيوني، محمود (1972): "التربية الفنية والتحليل النفسي"، دار المعارف، القاهرة.
5. البسيوني، محمود (1969): "نحت الأطفال"، دار المعارف، القاهرة.
6. الحفني، عبد المنعم (2003): موسوعة الطب النفسي، ج1، ط4، مكتبة مدبولي، القاهرة.
7. السيد، سناء (2003): "رسوم الأطفال التحليل والدلالة"، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
8. الشربيني، لطفي (2001): "معجم مصطلحات الطب النفسي"، مركز تعريب العلوم الصحية، القاهرة.
9. احمد أسامة فرينة(2011)"القيمة التشخيصية لاختبار رسم الشخص لأطفال ما بعد الصدمة "رسالة ماجستير غير منشورة.
10. القريطي، عبد المطلب (2001): "مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال"، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة.
11. لجنة الاختبارات م. د. ن (1994): "اختبار رسم الشخص"، مجلة الثقافة النفسية، تصدر عن مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية، دار النهضة العربية، ص106، 107، بيروت.
12. ماكوفر، كارين (1987): "اسقاط الشخصية في رسم الشكل الانساني"، ترجمة: رزق ليلة، دار النهضة العربية، بيروت.
13. مصطفى، رياض بدري (2005): "الرسم عند الأطفال"، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.
14. مليكة، لويس كامل (2000): "دراسة الشخصية عن طريق الرسم"، ط8، دار القلم، الكويت.
15. خضر، عادل (1999): "استخدم رسم الشخص في التشخيص والعلاج النفسي"، مجلة علم النفس، ع51، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص93، القاهرة.
16. خضر، عادل (1998): "رسوم الأطفال لشكل الانسان ودلالتها النفسية"، مجلة علم النفس، ع47، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص32-61، القاهرة.
17. خضر، عادل (1996): "ترتيب الشكل الانساني الذكري والأنثوي في اختبار رسم الشخص ودلالته الاكلينيكية"، مجلة علم النفس، ع38، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص73، القاهرة.
18. خضر، عادل (1989): "دراسة مقارنة بين الأسوياء والجانحين على أسلوب رسم الذات والأقران والأسرة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.
19. ساكو، دوكوبير (2002): "رسم الطفل في التحليل النفسي"، ترجمة: دولي أبو حمد مسامير، دار الرضا للنشر، دمشق.
20. سعيد، إيمان (2005): "التشخيص النفسي"، دار زهراء الشرق، ط1، القاهرة.
21. صبحي، سيد (2003): "الانسان وصحته النفسية"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
22. صالح، قاسم حسين (2002): سيكولوجية الأزمات، اضطراب ما بعد الضغوط الصدمية"، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، ع49، م13، يناير 2002م، مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية، ص82، طرابلس، لبنان.
23. عثمان، عبلة حنفي (1980): "فنون أطفالنا"، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

24. عطية، نعيم (1993): "ذكاء الاطفال من خلال الرسوم"، ط1، دار الطليعة، بيروت.
25. غراب، يوسف، (2003): "فنون الاطفال والبالغين"، مطبعة زهراء الشرق، القاهرة.
26. غنيم، السيد، برادة، هدى (1980): "الاختبارات الاسقاطية"، دار النهضة العربية، القاهرة.
27. فرج، صفوت (1992): "الذكاء ورسوم الأطفال"، ط1، دار الثقافة، القاهرة.
28. فرويد، آنا (1972): "الأنا وميكانيزمات الدفاع"، ترجمة: صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
29. فرويد، سيجموند (1983): "الكف، العرض، الحصر"، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
30. فرويد، سيجموند (1981): "تفسير الأحلام"، ترجمة مصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة.
31. فرويد، سيجموند (1980): "ما فوق مبدأ اللذة"، ترجمة: اسحاق رمزي، دار المعارف، القاهرة.
32. فرويد، سيجموند (1978): "محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي"، ترجمة: احمد عزت راجح، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة.
33. فيراريس، آنا أليفيريو (1986): "رسوم الأطفال ومعانيها"، ترجمة مياسة قصار، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
34. فيراري، اوسفالد ورنالتو (1997): "الرسم عند الأطفال"، ترجمة: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن عبد الفتاح، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
35. لاجاش، دانيل (1979): "المجمل في التحليل النفسي"، ترجمة مصطفى زيور، عبد السلام القفاش، مطبعة عين شمس، القاهرة.
36. المليجي، علي (2009): "تعبيرات الأطفال البصرية"، حورس للطباعة والنشر، ط2، بورسعيد، جمهورية مصر العربية.
37. الهنيدي، منال (2005): "المهارات الأساسية للفنون البصرية لطفل الروضة"، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة.
38. بدري، مالك (2001): "سيكولوجية رسوم الأطفال، اختبارات رسم الانسان وتطبيقاتها على اطفال البلاد العربية"، مطبعة دار الفرقان، ط3، عمان، الاردن.
39. حسن، مصطفى (1999): "التعبير الفني عند الأطفال"، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
40. خضر، عادل (2006): "رسوم الأطفال وقيمتها النفسية والتربوية"، مجلة علم النفس، ع 71، 72، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص8، 16، القاهرة.
41. خضر، عادل (2000): "اسقاط صورة الجسم في اختبارات الرسم الاسقاطي"، مجلة علم النفس، ع56، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص28-57، القاهرة.
42. Hammer.1980.the clinical application of projective drawing. Sixth edition.Illinois USA.
43. Harris.1963.children drawing.hara court brace and world Inc.
44. Goodenough, F. & Harris, D. (1950) : Studies In The Psychology Of Children Drawings : II1928-1949 Psychological Bulletin, V.47, N.5.